

تأملات في أعظم آية من

كتاب الله

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدار

حفظه الله تعالى

برنامج من إذاعة القرآن الكريم

١٤٣٠-٠٩-٠٢

أعد المادة سالم الجزارى

النسخة الإلكترونية الأولى
www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...،

أيها الإخوة المستمعون.. هذه تأملات ستكون بتفريق الله حول أعظم آية من كتاب الله -عز وجل- آية الكرسي، وبيان وتدبر لضمائهما العظام ومعانيها الجليلة، وإيضاح لما اشتغلت عليه من البراهين العظيمة والدلائل الواضحة والمحجج الساطعة على تفرد الله -عز وجل- بالجلال والكمال والعظمة وأنه سبحانه لا رب سواه ولا معبد بحق إلا هو تبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره.

وهذه الآية المباركة -أيها الإخوة المستمعون- لها شأن عظيم وقدر رفيع؛ إذ هي أعظم آية القرآن شأنًا، وأفضلها قدرًا، وأرفعها مكانة، وليس في القرآن آية أعظم منها، فقد صح الحديث عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأنها أفضل آية في كتاب الله -عز وجل-.

روى مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يا أبا المندى أنت ذي أي آية من كتاب الله معك أعظم؟»، قال: قلت: الله ورسوله أعظم؟ قال: «يا أبا المندى أنت ذي أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله لا إله إلا هو

الحي القيوم، قال: فضرب في صدري وقال: «والله ليهناك العلم أبا المندى» أي هنئا لك هذا العلم الذي ساقه الله إليك ويسره لك ومن عليك به، وأقسم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على ذلك بالله -تعالى- تعلية لهذا الشأن وتفخيمها لهذا المرام.

أيها الإخوة الكرام.. هذا الحديث يدل على أن هذه الآيات المباركة هي أعظم آية في كتاب الله -عز وجل-، وقوله: «أعظم» أفعل تفضيل، وهذا يدلنا على آيات القرآن الكريم وسوره متفاضلة، لا باعتبار من تكلم به، فالمتكلم به هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؛ ولكنها متفاضلة باعتبار ألفاظه ومعانيه، باعتباره ألفاظه المشتملة على المعاني، وباعتبار المعاني التي دلت عليها الألفاظ. قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: ومعلوم أن كلامه الذي يبني به على نفسه ويذكر فيه أوصافه وتوحيده، أفضل من كلامه الذي يذم به أعداءه ويذكر أوصافهم. وهذا كانت سورة الإخلاص أفضل من سورة تبت، وكانت تعدل ثلث القرآن دونها، وكانت آية الكرسي أعظم آية في القرآن الكريم. انتهى كلامه رحمه الله.

أيها الإخوة المستمعون.. وهذا باب من الفقه ينبغي على المسلم وطالب العلم أن يُرعى اهتمامه وعنايته حتى يزداد حبه للتوحيد الذي هو أعظم شيء في القرآن، وحتى ترداد مكانة التوحيد في قلبه ومتزلته في نفسه، كما هو الشأن في الصحابة الكريم -رضي الله عنهم وأرضاهم-.

على عظم مكانة آيات التوحيد في قلوب الصحابة وكمال فقههم، ويدل على فهمهم لآيات التوحيد فهما تتقاصر عنده أفهمام من بعدهم وعقول من سواهم.

وانظر إلى هـذا الفهم السديد الذي توصل إليه أبي رضي الله عنهـ في اختياره لـآية التوحيد وكتبه النبي صـلـى الله عليهـ وسـلـمـ له على هـذا العلم المبارك.

قال ابن القيم رحمـه اللهـ وقد بشـرـ النبيـ صـلـى اللهـ عليهـ وسـلـمـ الرـجـلـ الـذـيـ يـحـبـ سـورـةـ الإـلـاـخـلـاـصـ،ـ وـقـالـ أـحـبـهاـ لـأـنـهـ صـفـةـ الرـحـمـنـ عـزـ وـجـلـ ،ـ فـقـالـ (ـحـبـكـ إـيـاهـاـ أـدـخـلـكـ الجـنـةـ)ـ وـفـيـ لـفـظـ آخرـ ((ـأـخـبـرـوـ أـنـ اللهـ يـحـبـهـ))ـ فـدـلـلـ عـلـىـ أـنـ مـنـ أـحـبـ صـفـاتـ اللهـ أـحـبـهـ اللهـ وـأـدـخـلـهـ الجـنـةـ.

وقال شـيخـ الإـسـلـامـ اـبـنـ تـبـيـمـةـ رـحـمـهـ اللهـ:ـ وـهـذـاـ يـقـضـيـ أـنـ ماـ كـانـ صـفـةـ اللهـ مـنـ الـآـيـاتـ إـنـ يـسـتـحـبـ قـرـاءـتـهـ،ـ وـالـلـهـ يـحـبـ ذـلـكـ وـيـحـبـ مـنـ يـحـبـ ذـلـكـ.ـ وـهـذـاـ فـيـ فـائـدـةـ أـنـ حـبـ آـيـاتـ الصـفـاتـ وـآـيـاتـ التـوـحـيدـ تـنـالـ بـهـمـاـ مـحبـةـ اللهـ وـجـنـتـهـ،ـ وـفـيـ هـذـاـ دـلـالـةـ عـلـىـ أـنـ آـيـاتـ التـوـحـيدـ تـقـودـ إـلـيـانـ إـلـىـ كـلـ فـضـيـلـةـ وـإـلـىـ كـلـ رـفـعـةـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـآـخـرـةـ،ـ كـيـفـ لـاـ وـهـيـ الـأـسـاسـ الـذـيـ عـلـيـهـ قـيـامـ هـذـاـ الـدـيـنـ.

وـهـذـاـ نـصـلـ إـلـىـ تـمـامـ هـذـهـ الـحـلـقـةـ،ـ وـإـلـىـ لـقـاءـ آـخـرـ وـالـسـلـامـ عـلـيـكـمـ وـرـحـمـةـ اللهـ وـبـرـكـاتـهـ...

ولـكـ أـيـضـاـ أـنـ تـتأـمـلـ لـتـدـرـكـ كـمـالـ فـقـهـهـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ أـنـهـ لمـ تـكـنـ إـجـابـتـهـ عـلـىـ هـذـاـ السـؤـالـ بـعـدـ مـهـلـةـ زـمـنـيـةـ وـاسـعـةـ إـنـاـ أحـبـهـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ فيـ الـوـقـفـةـ نـفـسـهـاـ بـعـدـ أـنـ أـعـادـ عـلـيـهـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ السـؤـالـ فـاتـجـهـ ذـهـنـهـ رـأـسـاـ إـلـىـ آـيـاتـ التـوـحـيدـ فـقـالـ:ـ آـيـةـ الـكـرـسيـ.ـ أـيـ أـنـ هـذـهـ الـآـيـةـ هـيـ أـعـظـمـ آـيـةـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ.

وـقـدـ كـانـ نـظـرـ أـبـيـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ فيـ اـخـتـيـارـ آـيـةـ الـكـرـسيـ عـمـيقـاـ وـدـقـيـقاـ،ـ وـهـوـ دـالـ عـلـىـ عـظـمـ شـأنـ التـوـحـيدـ فـيـ قـلـوبـ الصـحـابـةـ.

نـظـيرـ هـذـاـ مـاـ روـاهـ الـبـخـارـيـ وـمـسـلـمـ عـنـ عـائـشـةـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ أـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـعـثـ رـجـلـاـ عـلـىـ سـرـيـةـ وـكـانـ يـقـرـأـ لـأـصـحـابـهـ فـكـانـ يـخـتـمـ بـقـلـ هـوـ اللهـ أـحـدـ،ـ فـلـمـ رـجـعـواـ ذـكـرـوـاـ ذـلـكـ لـلـنـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـقـالـ:ـ (ـسـلـوـهـ لـأـيـ شـيـ يـصـنـعـ ذـلـكـ)ـ فـسـأـلـوـهـ فـقـالـ:ـ لـأـنـهـ صـفـةـ الرـحـمـنـ،ـ وـأـنـاـ أـحـبـ أـنـ أـقـرـأـ بـهـاـ.ـ فـقـالـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ:ـ ((ـأـخـبـرـوـ أـنـ اللهـ يـحـبـهـ)).ـ

وـرـوـىـ الـبـخـارـيـ فـيـ صـحـيـحـهـ مـعـلـقاـ مـنـ روـاـيـةـ أـنـسـ بـنـ مـالـكـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـوـصـلـهـ التـرـمـذـيـ قـصـةـ رـجـلـ مـنـ الـأـنـصـارـ كـانـ يـصـلـيـ بـالـنـاسـ فـيـ مـسـجـدـ قـبـاءـ،ـ وـكـانـ يـلـزـمـ سـورـةـ الـإـلـاـخـلـاـصـ فـيـ كـلـ رـكـعـةـ،ـ فـسـأـلـهـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ عـنـ ذـلـكـ فـقـالـ:ـ إـنـ أـحـبـهـاـ.ـ فـقـالـ:ـ (ـحـبـكـ إـيـاهـاـ أـدـخـلـكـ الجـنـةـ)ـ فـانـظـرـ أـخـيـ الـمـسـتـمـعـ،ـ هـذـاـ فـقـهـ يـكـرـرـهـاـ وـيـداـوـمـ عـلـىـ قـرـاءـهـاـ لـكـونـهـاـ مـشـتـمـلـةـ عـلـىـ صـفـةـ الرـحـمـنـ،ـ وـهـوـ يـحـبـهـاـ،ـ وـهـذـاـ يـدـلـ

وـإـذـ تـأـمـلـنـاـ أـيـهـاـ الـإـلـهـوـةـ نـدـرـكـ شـدـةـ حـاجـتـنـاـ وـعـظـمـ اـفـقـارـنـاـ لـعـلـمـ التـوـحـيدـ الـذـيـ طـلـلـاـ قـصـرـ كـثـيرـ النـاسـ فـيـ الـعـنـيـةـ بـهـ وـالـاهـتـمـامـ بـهـ،ـ فـكـمـ هـيـ الـحـاجـةـ مـاـسـةـ لـكـلـ مـسـلـمـ أـنـ يـعـنـيـ فـيـ حـيـاتـهـ هـذـاـ التـوـحـيدـ الـذـيـ هـوـ أـعـظـمـ شـيءـ فـيـ هـذـهـ الـحـيـاةـ بـلـ لـيـسـ فـيـ هـذـهـ الـحـيـاةـ شـيءـ أـعـظـمـ مـنـهـ،ـ وـلـهـذـاـ إـنـ مـنـ أـعـظـمـ الـخـسـرـانـ وـأـكـبـرـ الـحـرـمـانـ أـنـ يـدـخـلـ إـلـيـانـ هـذـهـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ ثـمـ يـخـرـجـ مـنـهـ وـيـفـارـقـهـاـ دـوـنـ أـنـ يـذـوقـ أـعـظـمـ شـيءـ فـيـهـ وـهـوـ تـوـحـيدـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ).

وـمـنـ هـنـاـ نـدـرـكـ حـسـنـ فـقـهـ أـبـيـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ أـنـ لـمـ سـأـلـهـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ هـذـاـ السـؤـالـ،ـ ذـهـبـ فـيـ بـحـثـهـ إـلـىـ الـآـيـةـ الـتـيـ أـخـلـصـتـ لـبـيـانـ أـعـظـمـ شـيءـ فـيـ الـقـرـآنـ،ـ وـهـوـ التـوـحـيدـ،ـ وـتـقـرـيرـ دـلـائـلـهـ،ـ وـذـكـرـ عـظـمـةـ الـرـبـ وـكـمـالـهـ،ـ وـأـنـهـ الـمـسـتـحـقـ وـحـدـهـ لـلـعـبـادـةـ دـوـنـ سـواـهـ.

وـهـذـاـ مـنـ كـمـالـ فـقـهـ وـفـهـمـهـ،ـ فـلـمـ يـذـكـرـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ آـيـةـ فـيـ بـيـانـ الـآـدـابـ الـحـمـيدـةـ،ـ أـوـ الـأـحـكـامـ الـفـقـهـيـةـ،ـ أـوـ أـخـبـارـ الـأـمـمـ الـسـابـقـةـ وـفـصـصـ الـأـوـلـيـنـ،ـ أـوـ مـاـ يـكـوـنـ بـعـدـ الـمـوـتـ مـنـ أـهـوـالـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ وـنـحـوـ ذـلـكـ..ـ إـنـاـ اـخـتـارـ آـيـةـ التـوـحـيدـ الـتـيـ أـخـلـصـتـ لـبـيـانـهـ وـأـفـرـدـتـ لـتـقـرـيرـهـ.

ولـكـ أـيـهـاـ الـمـسـتـمـعـ أـنـ تـأـمـلـ هـنـاـ نـدـرـكـ هـذـاـ فـقـهـ أـنـ أـبـيـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ لـمـ يـخـتـرـ هـذـهـ الـآـيـةـ مـنـ بـيـنـ عـشـرـ آـيـاتـ أـوـ عـشـرـيـنـ أـوـ مـائـةـ آـيـةـ أـوـ مـائـيـنـ،ـ إـنـاـ اـخـتـارـهـاـ مـنـ بـيـنـ آـيـاتـ الـقـرـآنـ كـلـهـ،ـ وـآـيـاتـهـ تـزـيـدـ عـنـ سـتـةـ آـلـافـ آـيـةـ،ـ فـهـذـاـ فـقـهـ عـظـيمـ جـداـ.